

موضوعات إسلامية - موضوعات مختصرة - الدرس (٢٣): درس عن الزكاة ١
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٢-١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الزكاة :

أيها الأخوة الكرام، أخ كريم طلب مني أن أتحدث عن موضوع الزكاة ومعه الحق في ذلك، فوقتُ الزكاة في رمضان.

الله جل جلاله يقول في القرآن الكريم:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة التوبة: ١٠٣]

هذه الآية أصل في فرضية الزكاة، خذ، فإله سبحانه وتعالى لم يقل: يا أيها الذين آمنوا ادفعوا الزكاة، لماذا؟ لأن الزكاة تؤخذ ولا تُعطى، وتُفترض، ولأن الزكاة يتعلّق بها مصير الأمة، وسلامة المجتمع، ولأن خطورتها تصل إلى مجموع الأمة، لذا تُفترض ولا تُستجدي، وتؤخذ ولا تُعطى، فالنبي عليه الصلاة والسلام خوطب لا على أنه نبي هذه الأمة بل على أنه ولي أمر المسلمين، أما من أموالهم، فمن تقيّد التبعض؛ أي خذ بعض أموالهم، نسبة ضئيلة جداً؛ اثنان و نصف في المئة، أما أموالهم فجاءت جمعاً لأن الزكاة تجب في جميع الأموال، ما أنتجت الأرض، و عروض التجارة و الصناعة، و الركاز - الثروات الباطنية - وفي الأنعام، الإبل و البقر و الغنم، وفي العسل، و في الفواكه و الثمار، كل أنواع الأموال تجب فيها الزكاة، البيوت المعدة للمتاجرة تجب فيها الزكاة، و الدكاكين المعدة للتجارة، و الأراضي التي تُشترى لبيعها و ربح ثمنها تجب فيها الزكاة، قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

[سورة التوبة: ١٠٣]

أما كلمة " هم " ففي أموالهم، الزكاة مفروضة على جميع المسلمين من دون استثناء، فلا تطوى الزكاة عن أحد، أما صدقة فتؤكّد صدق الإنسان مع ربه، فالعبادات التي تتوافق مع النفس قد لا يرقى بها الإنسان كثيراً، لكن العبادات التي تتناقض مع الطبع، طبعك أن تأخذ الأموال، و أن

تجمع الأموال، لكنّ فرضية الزكاة تعني أن تدفع الأموال، هذه معنى " صدقة " أي تؤكّد صدق إيمانهم، من هنا قال عليه الصلاة و السلام:

((الصدقة برهان...))

[شعب الإيمان عن أبي مالك الأشعري]

الزكاة تطهر الغني و الفقير :

ثم قال تعالى:

﴿ تَطَهَّرْهُمْ ﴾

[سورة التوبة: ١٠٣]

أي تطهر الغنيّ من مرض خطير جدّاً وهو الشحّ، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُوقِ شِحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة التوبة: ٩]

و تطهر الفقير من مرض الحقد، حينما يرى الفقير نفسه محروماً و إلى جانبه ثريّ مُتَرَفٍّ، و الفقير يعمل و الثري لا يعمل، هذا يخلق اضطراباً في النفس و ينشئ حقداً و ضغينة قد تنتهي إلى اضطرابات في المجتمع، فإذا دفعت زكاة مالك حقيقة، تسلّمها الفقراء حقيقة عندئذٍ تطهر نفس الغنيّ من الشحّ، و الفقير من الحقد، و المال نفسه يطهر من تعلق حقّ الغير به، " و تركيهم " أي تنميتهم، فالإنسان ينمو، إما أن ينمو طوله أو وزنه أو أن تنمو نفسه، بدفع الزكاة تنمو نفس الغنيّ، و يشعر أنه إنسان له أياد بيضاء على مجتمعه، و يشعر أنه بماله قد مسح دموع البائسين، و بماله أوى الشاردين، و أطعم الجائعين، وزوّج الشباب المؤمنين، و بماله فتح ميماً، يشعر بنموّ، و تنمو نفس الفقير حينما يشعر أن مجتمعه لم ينسه، و مجتمعه يحرس على سلامته، و على إطعامه، و على إسكانه، فالفقير تنمو نفسه، و الغني تنمو نفسه، و المال ينمو لأنك إن وزعت زكاة مالك رفعت القوة الشرائية عند الفقراء، فإن كان لهم مال؛ ماذا يفعلون به؟ سيشترون به عند الأغنياء، فكل غنيّ ينفق ماله تروج تجارتُهُ، و قد ينمو المال بطريقة خاصة من العناية الإلهية.

حساب الزكاة :

أيها الأخوة، هذه مقدّمة، وهناك طرق كثيرة لحساب الأموال، أكثرها مُتَعَبٌ، و غير واقعي، أما الطريقة الوحيدة الواقعية فإن تجرّد أموالك برمضان، و أن تدفع عليها الزكاة، فأسهل طريقة و أبسطها أن تجرّد أموالك بأول رمضان، و الديون الثابتة تجب فيها الزكاة، و الديون المشكوك فيها تدفع زكاتها حينما تردّ إليك، عن سنتها، و عن التي قبلها، أما الديون الميتة فهي معفية، و الدكان معفى من الزكاة، و كذا أدوات الحرفة و البيت معفى و المركبة و الأثاث و الأرض المزروعة ؛ كلّ هذه معفاة من الزكاة، لأنّ هذه الأموال لا تنمو، أما البضاعة و المواد الأولية فهذه ينبغي أن تجرّد

جرّدًا دقيقًا، وهناك مَنْ يقول: أنا قدّرتُ البِضَاعَةَ بمئة ألف! هذا غير مقبول، قال تعالى: " وفي أموالهم حقّ معلوم.." فلا بدّ من الجرّد، فقد تقول: أنا أضعفُ التقدير! تقول لك: هناك آلاف الناس يُسيئون التقدير، فالزكاة حقّ الله، وحقّ الفقير، ويجب أن تُجرّد جرّدًا دقيقًا، والله تعالى يقول:

﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

[سورة الذاريات: ١٩]

هذه في الصدقات إذا تجرّي جرّدًا دقيقًا، وتعدّ الأموال التي في حوزتك، الدّيون التي لك تطرّح منها الدّيون التي عليك، والحاصل ضرب اثنين ونصف بالمئة وهناك طريقة وأخوة كثر يفعلونها وهي مُريحة جدًّا، يدفع زكاة ماله برَمضان، وبواحد شوال يفتح حساب الزكاة للعام القادم، وكلّما عرّض عليه مشروع خيري؛ يتيم، أرملة، فقير، عمليّة جراحية، أو طالب علم، ابن السبيل يدفع ببساطة، فهذا يدفع على مدار العام، بتؤدّة وبتأنّ، وفي شوال القادم إن دفع عشرة وكانت زكاة ماله عشرين دفع فقط عشرة! فهذا يدفع الزكاة براحة، ومع دراسة مطوّلة، ومن دون ضيق، وهذا مشروع.

إنسان اشترى شيئًا على المشاع، ودافع مبلغًا، وهذا المبلغ سلفة، والسلفة عليها زكاة، أما حينما يتحدّد البيت، وسعره، وأتارُه، وجهته، وطابقه، فيصيحُ ثمن البيت دينًا عليه، ويعقّى من السلف التي دفعها في هذا المشروع؛ هذا الذي ذكرته لكم متعلّق بالزكاة، والزكاة تُؤدّى في رمضان وفي غيره، وهناك من يُدّمها قبل العيد بيوم واحد، الفقير عليه أن يشتري حاجاته، وطعامه، والإنسان ليس حكيماً في إنفاق المال يُمكن أن تقدّم له الزكاة عينًا.

بطولة الإنسان وضع الزكاة في مكانها المناسب :

لا تنتهي بطولة الإنسان في إنفاق الزكاة، بل في وضعها في المكان المناسب لأنّ هناك مُتسولين يُقننون فنّ التسوّل، فالذي يأخذ دائماً هو الذي يسأل ولا يستحي، وهو الذي يُحرّجك، والمحروم هو الذي لا يسأل ويستحي، لأنّ الذي يستحقّ الزكاة يحسبه الجاهل غنيًّا من التعفّف، فالذي ينبغي أن تُعطيه المال هو الذي لا يسألك، وتحسبه غنيًّا، فواجبك أن تتحرّى من حولك من الأقرباء والجيران والأصدقاء؛ أنيق ولطيف ونظيف ولكن دخله لا يكفي، فهذا ينبغي أن تُغنيه عن السؤال، أن تُبقية غنيّ النفس، وليس شرطاً أن تُعلم الذي تُعطيه المال أنّ هذه زكاة مالي، لك أن تُعطيه المال بألف طريق وطريق، جاءه مولود فتعطيه هديّة نفيسة، فهذه نقطة؛ تُؤدّى عينًا، وتؤدّى نقدًا. الأقربون أولى بالمعروف، أما هؤلاء الذين تُؤدّي لهم الزكاة فيجب أن يكونوا أقرب نسباً أو إيماناً أو فقراً، وكلّما تساويا في شرط تحرك الشرط الثاني، تساويا في الفقر حرّك شرط النسب، وإن تساويا في الفقر والنسب حرّك شرط الإيمان.

هذا أئهاالإخوة عن الزكاة، ومن أدى زكاة ماله أذهب الله عنه شرّ ماله وما تلف مال في برّ أو بحر إلا من حبس الزكاة، وسيدنا أبو الدرداء قيل له: لقد احترق دكانك! فقال: لا، فلما ذهبوا وجدوا الحال كما قال فرجعوا وبشروه، أنت حينما تزكي مالك تجعل الله ضامناً لمالك.

شروط زكاة الفطر :

زكاة الفطر تجب على كل مسلم؛ حرّ أم عبد، غنيّ أو فقير، صغير أم كبير، ذكر أم أنثى، لماذا الفقير؟ قالوا: ليندوق مرّة في العام طعم الإنفاق، والذي يدفع زكاة الفطر مسموح له أخذ زكاة الفطر، شرط ألا يتفق اثنان.

والحمد لله رب العالمين